نحن الآن ..
(وثيقة تاريخية)

نحن الآن معي، هنا في داخلي. هنا في المصعد المعطوب بين دورين لا ثالث لهما. اباريق وطاسات نحاسية على الشرفات. وضوء غير مكتمل ابدا. ونساء عاريات عاريات في المقابر العسكرية الخاوية.

نحن الآن معي، هنا في داخلي. فلاحون يحرثون قنوات التلفزيون ويسقون بدموعهم اشتال الفيديو. عمال ارقون. ارقاء بلا عتق. كتب عتيقة. اجهزة اعلام مواخير. هيئات تخطيط قومية، بملاعق الخشب اياها، بقصعات الفخار اياها، بالليل المحيط-الاوقيانوس.

نحن الآن.

نحن الآن معي. هنا في داخلي. زبد. نراجيل. سيارات اجرة قذرة. مصابيح عمومية نسيها طاقم البلدية لذاكرة العسس. موانىء تتذكر وتبكي. تتذكر وتضحك. وتتذكر وتصمت الى الأبد. نحن الآن.

هنا. لا نحن. لا آن. لا هنا. سياح يتورطون مرة واحدة ولا يعودون ابدا. "باي باي" بابتسامة صفراء. "باي باي"، "فكّ أف". الموسوعة الاقل دقة من مهرج. الشعراء الاقل شعرا من مخبر. الصحف

الاقل صحافة من حضيرة. والمؤتمرات المؤتمرات المؤتمرات الاكثر يتما من يتيم فقد والديه في غارة جوية طازجة. فقد دموعه. فقد رعبه. نحن الآن.

أعود قليلا. اتريث كثيرا من اجل الدقة. محاولة اخيرة للفكاك من التعميم المحرج. لا فكاك. لا فكاك. وردة مفترسة تمد مجساتها المعدنية الى القلب. القلب المتعب المريض الوحيد والاخير. ميشيل ديغي، بالمناسبة. شعب بوان، بالمناسبة. والأفاق الذي اسمه وصفته وطالعة احمد بن الحسين المتنبي. لعبة. ضربة العمر. تكسب او تخسر. سيان الترجمات والاصول، الصمت والكلام. الهيولى وبراميل النفط الخام. سيان التعب جنونا والجنون تعبا. نحن الآن.

على مفترق الطرق تصهل الأفعى. يخرج الخيالة من لوحات الزيت المغبرة ويقفون طابورا امام فرقة الاعدام. يوزع جنود الاحتلال حلوى على يتامانا ويطلقون نيرانهم الرشاشة في الهواء المنعش لنجد الوقت الكافي للسقوط مرة اخرى. مرة في الفراش ومرة على احذية العسكر. نوزع الحلوى على شهدائنا ونرقص في الاعراس حتى ساعة متأخرة من الليل. حتى نعاس بنات آوى حتى سقوط نجمة الحلم الاخيرة عن شجرة لم تثمر مُن قبل ولم تقطع من قبل لأن البلطة معدة للعنق وشهادة الماجستير مريضة بالدهشة المزمنة والأطباء يتسفعون على سطح المستشفى في المدينة الطبّية، الثكنة العسكرية، البار، الكازينو. ويقول له: امي رأت أمك هناك. فيقول له: وماذا كانت امك تفعل هناك؟ ويقول له: سأقول للعالم ان اختك زانية، واذهب انت لتثبت للعالم ان لا اخت لك. ويقول له نحن

الآن في حضيض الحضيض يا بني. نحن الآن في قرارة الهاوية. لن تدركنا يد امرىء القيس لأنه مشغول بملك ابيه. ابن الكلب الملتجىء الى الروم هونا يصبح نَسَقا. يصبح انموذجا تاريخيا. شرعية غير شرعية. شرعية. ويقول له: وماذا كانت امك تفعل هناك؟ نحن الآن.

لعله المرض. لعله الخوف على الأولاد. لعله المستقبل المصنوع من بلاستيك لا نصنعه. لا امنعه انا بالتأكيد. والاولاد، ماذا يفعلون؟ ماذا يستطيعون ان يفعلوا بما اورثهم من صيغ ضائعة في لغة ضائعة في وقت ضائع ضائع ضائع؟. خدعة الامل هذه. العمر الذي ملكتني بدايته ولم تورثني نهايته. الاولاد السذج الابرياء. يلعبون بلا خرائط. لا يرون في الجرائد الملونة سوى طيارات ورقية موعودة. الارض الموعودة. اية كذبة؟ اي عبث؟ لا تضحك يا بني. لا تضحك. نحن الآن.

كيف حدث ما يحدث؟ بأكواع متورمة غيظا. بأنابيب الإنفوزيا في غرف العلاج المكثف. والانتظار في الممرات المضاءة بالنيون المرعب. كيف حدث ما يحدث؟ لا احد يذهب الى شواطىء السباحة. لا استجمام للموتى. لاضحك للمفلوجين. لا وقت للمراجعات. اصمت تناول طعامك واشكر. لا تتوقع. لا تحسب. لا تستطرد. طرادات. حاملات طائرات. جلبة في ملاعب الغولف. يأتي الملك. يذهب الملك. ضحكات مقتضبة. غمزات ثرية على المرجة الخضراء دائما قبالة البيت الابيض. وهدوء على ملاعب الغولف. انها القيلولة المطمئنة. القيلولة المتخمة الصلفة ولا شيء سوى ذلك. نحن الآن.

أذكر ايضا دوخة الخزي الدامي في المطارات. تلك الشبهة الوصمة. اذكر الاستهبال الواضح في سلوك البائع الصغير وخادم الفندق. اذكر

الوحام الحيواني لدى تلك السيدة الدهشة: عربي وجنتلمان؟ اوه فانتاستيك. واذكر النوري والسعدان، الطبلة والمزمار. ولم لا؟ لم لا تسير الامور كما ينبغي ان تسير؟ لماذا تهدد اغنيتي استقرار البورصة في نيويورك او طوكيو؟ لماذا؟ لماذا؟ ونحن الآن؟

سيمشي كتّاب السيرّ على الشوك. يقبض الشعراء جمر قمائدهم. يعض الخطباء السنتهم وحقائب السمسونايت الموصدة بحذر شديد على هواء معقّم. من التربة تأتي الشجرة. من الشجرة يأتي ما يأتي، ثانويا، هامشيا، ومن حقيبة السمسونايت تاتي الخديعة الجوهرية. هنا يكمن السر هنا تبدا المعضلة. تتفلع اكواز الرمان عما اثمر الجهد، عن الاطفال الجدد في الظرف غير المناسب. وماذا يقول المخبر الصحفي؟ ماذا يستطيع ان يقول. ما دام هو الاخر لا يملك سهما في صناعة البلاستيك، في ورشة المستقبل.

ونحن الان.

أمد يدي الى مداها فترتجف. أمد قلمي الى ورقته فيرتجف. أسال قلبي الا يخذلني فيرتجف. تمشط ريح الليل اشجار الحديقة فترتجف. هكذا تتضح معاني الهزات الارضية لا في ارمينيا فحسب. ولا في ايران فحسب. بل في اصقاع الروح جميعا وفي تضاريس الجسد ماخوذا مملوكا مستهلكا. والصحراء التي اشتهي والتي تجعل الملاذ ممكنا ثم تجعله مستحيلا ثم تنغلق على ذاتها داخل جسدها المباح المستباح، داخل امرى القيس المتكرر بملكه الضائع وروميه القادمين كالجراد. نحن الان.

من اغادير الى قلبي مرورا بالمكلا
قلت كلا
الف كلا
والى قلبي، من الموصل والشام
مرورا بصفد
بلد ينسى بلد
قل هو الله أحد
قل هو الله احد

ونحن الآن معي وبدوني. في سحابة القصدير في وشم البدوية الاخيرة. ثلاثاء تغادر اسبوعها تفاحة تتقمص حجرا. وردة مدججة بمجساتها المعدنية السامة. تحاصر وجعي. تحضني على نسيان حبها العالق في القلب مثل دراجة هوائية في زحمة السير.

ميادين مكتظة بلا احد. شوارع تحاذيها شوارع تحاذيها ارياف متراجعة امام التصحر والغزو الاجنبي. ونحن الان .

بين لحمي المقيم على صلوات مرارته الجارحه
ورحيل دمي
آخ. كم تشبه الليلة البارحه
بين صوتي وبين فمي
لغة واضحه
آن لي
آن أن اقرأ ألفاتحه..

ونحن الان ..
توقيت محلي على ساعات الوطن الخربة.

ساعات على الوطن الخرب. خراب على الساعات والوطن وطن بلا ساعات وبلا وطن. جماهير تزدرد الخراب. الخبز. الخبيزة. الخبث. الخطيئة. الخطر. الخصيان. الخصب بلا ثمر. ثمر بلا طعم. ثمر من بلاستيك لم نصنعه نحن. وبالتأكيد لم أصنعه أنا. وأسئلة اخرى لا تنتظر جوابا.

ماذا؟ كيف؟ لماذا؟ متى؟ اين؟ من؟ هل؟ ا؟هب ؟اف ؟ اس؟ اسئلة بلا إجابات. إجابات بلا اسئلة. توقيت محلي خرب. موازاة تامة وبلا مكان على الاطلاق. ونحن الان.

لن تحاول الارض ان تنشق لتبتلعني. فلأحاول اذن ان انشق لابتلع الارض. انا الان ..

«الناقد» / ١٩٩٠